لغة العرب

مجلة شهرية أدبية علمية تاريخية

(في اول آب (اوغسطس) سنة ١٩٣١)

الخنساء

al-Khansā'

(? — ٦٧٠ م)

توطئة

غير خاف . ان النساء بلغن في الشعر أوجاً عالياً . واصبن منه حظاً وافياً ، وأتين فيه بعقائل الابيات ، وجلائل المرثيات . ففي كل عصر لهن نصيب ، وفي كل مكان حماهن خصيب ، وكتب العرب تفيض بتراجم الشواعر النابغات ، اللائي صادفتهن غر القوافي ، وعنت لهن جوامع القريض ، ففاضت جوارحهن عقود شعر ، وسالت انفسهن قلائد أبيات ، ولا غرو ، فقلوبهن بالاحساس فياضة ، وهي في الاحزان قيثارة الآلام . وفي الحبور نغمات السرور . وقد نالت بينهن خطر الاسبقية ، خنساء المراثي وذلفاء القصيد ، التي تمخضت بها الجاهلية ، واحتفى بها الاسلام ، شاعرة فذة . من واهبها الشعر باعزه ، وحباها النطق حلل الرثاء صاغرة . ففاقت الرجال في مواطن البكاء ، وبزت النساء في الندب واثارة الشجون . فهي بحق اشعر الشواعر ، وشعرها في غاية الابداع والانسجام . فكم من مرة جالسناها ، نستأنس اشعارها ، ونلتقط درر الكلام منها ، ونأنس اليها اذا السآمة حلت بنا ، والملل تطرق علينا ، ففيها نعم المفرج ، والصديق الانيس

المرأة

نشأتها

من الخنساء هذه التي طالما اشار اليها الشعراء ، وتغنى بها الادباء ، وحث على مصاحبتها العلماء ؟ هلم نستفسر الكتب — يحدثنا الرواة انها تماضر بنت عمرو ابن الحرث بن الشريد بن الرياح من بني سليم ، ويخبروننا ان لقبها الخنساء — ولعلهم ارادوا بذلك مشابهتها للظباء ؛ فالخنساء صفة الظبية . والخنس تأخر الانف عن مستواه مع ارتفاع في ارنبته — استقبلت الحياة ، في القرن السابع للمسيح ، وشبت في بني سليم . وروت الشعر فتاة ، ولم تؤت بلاغة وسحراً حلالا ، إلا حين نفذ سهم القتل في اخويها ، فعندها خر لها القريض ، واسلمها قياده طائعاً . فرثتهما رثاء والهة مفجوعة ، وبكتهما عويلا وندباً حتى المنية .

في الجاهلية

زواجها — مصابها

كانت الخنساء بلا شك جميلة ، حتى كثر خطابها ، وازواجها . ويقول القصاص ، ان ممن راد حولها وهم بجعلها حليلة له فارس هوازن ، دريد بن الصمة ، وهو اذ ذاك شيخ كبير ، قد لفحته الايام ، وقد انشأ فيها شعره المشهور :

حيوا تماضر واربعوا صحبي ! وقفوا فان وقوفكم حسبي !
أخنـاس ؟ قد هام الفؤاد بكم واصابه قبل من الحب ...

وكان من رفضها اياه ما كان ، ثم خطبها رواحة بن عبد العزيز السلمي ، ومات ، فتزوجها عبد الله بن العزى ، من بني خفاف . واتت منه بعبد الله بن عبد العزى . ثم خلف عليها بعده ، مرداس بن ابي عامر السلمي . فاتت منه بولد اربعة ، استشهدوا كلهم في الاسلام ، وقد نسب اليها صاحب الاغاني ، ان العباس ابن مرداس الفارس الشاعر ، من ولدها ، وابى هذا الزعم الكلبي . ولو سلمنا فرضاً بامومتها له ، لما همد جميع كتاب العرب عن ذكره ، فنحن نعلم ما كان للعباس من مكانة لدى النبي محمد ، وما له ايضاً من مقام في الاسلام . فهو احد نرسانه الفحول ، وابطاله العظام . ثم نعرف ما للخنساء ايضاً من حرمة ومنزلة ، وذا يكفي لان تغص بطون الكتب بنسبه اليها ، لدى ذكرها . فالعرب في نحو

هذا ، تثور عن شأنها في الاقتضاب ، وتنسى عادتها ، فتذكره — ولعلها تتبسط في ذكره ، لو كان الكاتب مكثاراً — وتنسج حوله الاقاصيص ، وتحوطه بالاشعار والاخبار المنحولة . شأنها في امثاله ... اذاً هذا مما يرفضه العقل ؛ ويأباه البحث النزيه ، ولا بد ان العباس ، من ولد امرأة اخرى لمرداس .

لما كان داء العرب البادية : الغزو ، كان لابد لاخوي الخنساء منه . فهيأ معاوية ذلوله ، واستقل البيداء مع فرسان قلائل . وغزوا بني مرة ، وثار بعضهم على بعض . وتناهبوا بالسلاح ، وسقط معاوية صريع سنان هاشم بن حرملة ، واثنى عليه بالسيف اخ لهاشم . فقاظ في يوم حورة الاول (حورة على الفرات تتوسط الرقة وبالس) ... فحن موطن الشعر ، وافاق عند اخته الخنساء ، فرثته رثاءاً أليماً . ثم ان هبت بصخر رياح المعاش ، وصارخته الحاجة ، فساق غزواً على بني اسد ، فارتدع بطعنة ربيعة بن ثور في جنبه ، فرجع الى داره يساند نفسه وتعاوره الداء حولا ، حتى ملّه اهله ، وزاد بلاؤه . ان احب الناس اليه سئمته ، ابنة عمه وهي زوجته سلمى . تأمل حالته ، وقد اتاه قومه يعودونه . وسألوها « كيف اصبح صخر اليوم؟ » فقالت: « اصبح لا حياً فيرجى ، ولا ميتاً فينسى » أليس يحفظ هذا صخراً وقد طرقه ؟ إي احفظه ، وقد رأى من وهب لها قلبه تجفوه ، وتبغي موته ، لتذهبه من الذاكرة . وقيل ، انه يئس من الحياة ، فعلقها بعمود الفسطاط حتى ماتت . ثم نكس هو من بعدها ، ومات من كان وحده سلوة ورجاء الخنساء . فقاض اذ ذاك معين الشعر ، ونبعت ابحر القريض ، فبكته امر بكاء ، وحبته قلائد الرثاء .

في الاسلام

اسلامها — محنتها

ظهر النبي محمد . ودعا للاسلام ، فتوافدت عليه قبائل العرب ، ومنها سليم ومنهم الخنساء ، فاسلمت . وروت الرواة انها مع اسلامها ، لم تدع تسلبها على اخويها ، ولا عادات اخر نهي عنها . وظلت تندب اهلها ، وتخص صخراً باكثر لوعتها وتفجعها ، وحدثونا ايضاً ان قومها حاولوا كفها ، فلم تقلع ، وجفاها البصر ، وقرحت مآقيها ، فذهب نفر منهم عمر بن الخطاب ، وهو اذ ذاك خليفة

المسلمين ، وسألوه ان يعمد بحكمته ودرايته ، فينهاها . فاجاب سؤلهم واتاها. فقال : « ما قرح مآقي عينيك يا خنســاء ؟ » قالت : « بكائي على السادات من مضر » قال: « حتى متى يا خنساء ؟ اتقي الله ! ان الذي تصنعين ، ليس من صنع الاسلام. وانه لو خلد احد ، لخلد رسول الله (صلعم) . وان الذين تبكين هلكوا في الجاهلية ، وهم اعضاء اللهب ، وحشو جهنم. » قالت : « ذاك اطول لعويلي عليهم. » قال: « فانشديني مما قلت». قالت: « اما اني لا انشدك مما قلت اليوم، ولكن انشدك مما قلت الساعة : وقالت :

سقى جدثاً ، اكناف غمرة دونه من الغيث ، ديمات الربيع ووابله ..الخ

فأشفق عليها عمر ، ورأف بها ، وقال : « لا الومك يا خنساء في البكاء عليهما ، خلوا سبيل عجوزكم ، لا ابا لكم ، فكل امرئ يبكي شجوه (١) » . لقد ذهبت محاولته عبثاً ، ورق لها ، وفك سبيلها ، وقد حاول سواه كثير ردعها، فلم يفلحوا ، ومنهم ام المؤمنين عائشة .

انظر اليها . لما ضرب على المسلمين، البعث والجهاد لافتتاح الاقطار ، وامتلاك الامصار . وكانت وقعة القادسية المشهورة (١٦ هـ ــ ٦٣٧ م) كيف اقبلت باولادها تحضهم وتحثهم على القتال ، والاستشهاد في سبيل الاســلام ، واعلاء منارة . وبادأتهم بقولها النصوح : « يا بني انكم اسلمتم طائعين ، وهاجرتم مختارين . والله الذي لا إله إلا هو ، انكم لبنو رجل واحد ، كما انكم بنو امرأة واحدة؛ وما خنت اباكم ، ولا فضحت خالكم ، ولا هجنت حسبكم ، ولا غيرت نسبكم وقد تعلمون ما اعد الله للمسلمين من الثواب الجزيل في حرب الكافرين ، واعلموا ان الدار الباقية ، خير من الدار الفانية . يقول الله عزوجل : « يا ايها الذين آمنوا ، اصبروا ، وصــابروا ورابطوا ، واتقوا الله لعلكم تفلحون . » فاذا اصبحتم غدا ان شاء الله تعالى سالمين . فاغدوا الى قتال عدوكم مستبصرين ، وبالله

١) نحن نشك في هذه الرواية لان « عمر » وهو التقي الصالح الحائط للاسلام لايقول لها اولا : « ان الذي تصنعين ليس من صنع الاســلام » فيعقب حكمه بقوله « لا الومك يا خنساء ... خلوا سبيل عجوزكم ... » فلقد كان ــ رحمه الله ــ شديداً في امور الاسلام .

مصطفى جواد

على اعدائه مستنصرين ، فاذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها ، واضطرمت ناراً على سياقها . وحللت لظى على اوراقها . فتيمموا وطيسها ، وجالدوا رئيسها عند احتدام خميسها . تظفروا بالمغنم والكرامة في دار الخلود والمقامة » . نعم القول والتحريض والتعليل ، وان من البيان لسحراً ! ولا بدع أن بادر ابناؤها الى المعمعة ، ويمموا وطيسها ، وجالدوها حتى سقطوا في حومتها . ونعم لقول اجابتها عند ابلاغها الخبر : « الحمد لله الذي شرفني بقتلهم ، وارجو من ربي ان يجمعني بهم في مستقر رحمته » .

وفي موتهم تداركتها المحنة الثانية ، فقد مات اخواها في الجاهلية قتلا ، وكذلك بنوها في الاسلام . ولكنها كانت كما يبدو لنا ، اكثر تأثراً واشد ولهاً وحزناً على اخويها منها عليهم . فقد تعزت عنهم بموتهم في نصرة الدين . وقد اجرى عليها كرم عمر بن الخطاب ارزاق اولادها الاربعة(١).

يد الرواة في شعرها

تغلغل الرواة وامعن القصاص ، انتحالا واختلاقاً في حياة شاعرتنا ، شأنهم في سائر الاخبار الجاهلية وخضرمتها . فلا نعرف من نسيج اعمالها سوى ما حاكته ايدي الصناع المنتحلة . فهم تارة يدعون ان ولدها اربعة . وهم : يزيد ، ومعاوية وعمر ، وسراقة . وتارة يحذفون احدهم ؛ ويدعون ان العباس بن مرداس من ولدها ، فهم يتنافرون في حياتها ، تنافرهم في شعرها ، فتراهم يروون لها شعراً رواه بعضهم لشاعر آخر . هاك هذه القصيدة التي يروونها في صخر اخيها ، ومطلعها :

لعمري ! وما عمري علي بهين ... لنعم الفتى أرديتم آل خثعما ...

هنا العجب العجاب ، ان قتلة صخر لم يكونوا كما نعلم من خثعم . والشعر واضح الانتحال ، بينه ، ويرويه ابو عبيدة لريطة بنت عباس الاصم الارعل ، في ابيها قتيل خثعم ، هناك موقف آخر ، تناول هذه الابيات :

من لامني في حب كرز وذكره ... فلاقى الذي لاقيت اذ حفر الرجم
فيا حبذا كرز اذا الخيل ادبرت ... وثار غبار في الدهاس وفي الاكم
فنعم الفتى تعشو الى ضوء ناره ... كريز بن صخر ليلة الريح والظلم

(١) وهو اشبه براتب التقاعد اليوم .

مصطفى جواد

اذا البازل الكوماء ضنت برفدها ولاذت اواذاً بالمدرين بالسلم
فقد حان خير من اناس ورفدهم بكفي غلام ، لا خلوف ولا برم

انها تندب ابن اخيها كرزاً ، تلك التي لم تورث بنيها بما يجب على ام والهة ثكلى — نعم ! وان وجدت الى الصبر والعزاء سبيلا لموتهم في نصرة الاسلام — فلها قلب الوالدة . وهل من والدة لاتبكي اولادها ؟ فكيف حل لها ان تبكي كرزاً وتتناساهم ؟ ألعلها نادبته لبنوته لصخر ؟ لعمري اي الرواة تذاهب ؟ ألست تشعر بوطأة القصاص بهذا الشعر ، أولست تشعر باضطراب وشك ، اذ ينسبه بعضهم الى عباس بن مرداس ؟ اذاً نرفض نسبة هذه الابيات ، ولكن لماذا ترى ديوانها يكاد يكون جله أو كله في أخويها ، بينما تخص زوجها وبنيها ببعض ساقط شعرها ومنبوذه ، قد نجد بعض الرد المقنع عن زوجها ، انه كان مقامراً متلافاً للارزاق ، خسيساً ، فلذا لم ترثه ، ولعلها حمدت الله على افلاتها منه . اما بنوها والبنون من الوالدة في موضع الضعف والاحساس ، ولا سيما في مثل شعور ورقة الخنساء — فلم لم تقم بواجبها نحوهم؟ هنا نجدنا امام معضلة . فقد اثبت الرواة لها في اخويها ، ابدع القصائد واطرب الابيات ، فهل كانت تبكره اولادها ؟ اولادها من هم فلذ كبدها ، وقطعة من روحها حتى تجافت عن ذكرهم . هذا محال وبعيد الوقوع . وإلا فما حضتهم على طلب الآخرة . ثم تشرفت بقتلهم ! حقاً ان هنا لناحية تعنت ، وسهو ، وتخليط من الرواة في اختصاصهم رواية شعرها باخويها ، ام هناك تلاعب وغش كبير ؟ الحالة تدعونا ان نشك حيثما ادرنا الطرف . واي شعر انتقيت ، احسست به اضطراباً ولو بشيء . هنا وقفة لاتقل عن سوابقها ، غرابةً وحظاً فاسداً . يحدثنا (ابن العربي) ان امير المؤمنين عمر ابن الخطاب اتاها يكفها عن العويل والبكاء . ولما ان سألها شعراً ، قالت: « اما اني لا انشدك مما قلت اليوم ، ولكن انشدك ما قلت الساعة » . وانشأت تقول:

سقى جدثاً اكناف غمرة دونه من الغيث ديمات الربيع ووابله
أعيرهم سمعي اذ ذكر الاسى ، وفي القلب منه زفرة ما تزايله
وكنت أعير الدمع قبلك من بكى فانت على من مات بعدك شاغله ...

وتحدثنا الرواة ايضاً انها انشدته ايضاً قصيدتها التي مطلعها :

هريقي من دموعك واستفيقي وصبراً إن اطقت ولم تطيقي ... الخ

يحدثوننا ان جميع ذلك انشأته لحظة حديثها ، وبدون ترو ومهلة ، ولعلهم ارادوا مداراة الانتحال بصبها في هذا القالب . ولم يدروا ان هذا ادعى الى الشك واحمل على الرفض . ناهيك بان ليس من بيت في كلتيهما روي في صورة واحدة . فلا بد من اختلاف وتناقض مقاطع وكلمات ، بل في المعاني ايضاً ، مما يثبت ان الرواة كانوا يعمدون الى قصائد المتقدمين ، فلا يفتأون يغيرون فيها ويكيفونها ويثقفون ما اعوج ويجددون مابلي من الفاظها على حسب ذوقهم حتى تستقيم على وزن عصرهم ، ويحاولا نغمها فيدونونها ، وقد يعمد ايضاً آخرون الى مدوناتهم فيقومونها بمطلبهم ، فاذا ما وصلتنا مخطوطاتهم جميعاً وثقفناها فاحصين ماوجدناها إلا سوى طائفة اخلاط لاتستقيم على وزن ، وهي مبعدة لنا منفرة من الركون والايمان بما ادينا من امثالها الاشتات الحرافية.

هل لشعرها من قيمة ؟

ماهي ؟

اذا جئنا نبحث عما لاشعار الخنساء من قيمة تاريخية عثرنا عليها بما اوردناه وهي ابعد من ان تؤدي اي فائدة لهاته الوجهة . سوى ان ترجح فينا الشك . وتقوي فينا عامل الرفض لكل الاشعار المنسوبة للمتقدمين ، وتدغم فينا دافع قذفها الى الحضيض . لكننا ان وددنا معرفة قيمتها لغوياً وادبياً ، وتغاضينا عن انتحالها ، وهل من افادة للمتأدبين ؟ — وجدناها في مكان عظيم . وكنزاً لايفنى ففيها من سمو الخيال وعلو المعنى ، ورقة الافتنان ، وحسن السبك ما هو في أعلى منزلة واجل مكانة . وقد شاء قصاصها بذكر ما كان للخنساء من اكرام واعتبار في الجاهلية وعزة في الاسلام . وكيف كانت الشعراء الفحول تتسابق اليها وتشهد لها بالتفوق . وكفى ان نعلم ان النبي كان يكرمها ويستشهدها . واتفق ان وافاه عدي بن حاتم وفخر عليه بقوله : « يا رسول الله . ان فينا اشعر الناس . واسخى الناس ، واقرس الناس » فقال: « سمهم» قال : « اما اشعر الناس فامرؤ القيس بن حجر واما اسخى الناس ، فحاتم بن سعد (يعني اباه) . واما اقرس الناس ، فعمرو بن

معديكرب » فقال : « ليس كما قلت يا عدي ، اما اشعر الناس ، فالخنساء بنت عمرو . واما اسخى الناس فمحمد (يعني نفسه) . واما افرس الناس ، فعلي بن ابي طالب » . فهنا نالت مديحاً وافراً وخصها بقوله : « اشعر الناس » ولا بد ان شعرها كان سامياً جداً حتى ينال ذلك الاطراء . والرواة اذن قد تعدوا عليه وارتكبوا جريرة بعبثهم بالتراث ولعله كان اجل واسمى بكثير مما هو عليه الآن وفعلتهم به كفعل من يتناول اشعار المعري او الخيام ، او ابن الفارض ، ويسهل الفاظها ومبناها ، ويملأها بذكر الطيارات والسيارات والدبابات ، وامثال هذه الآلات . ويتناسى قديمها مدعياً ان الاشعار بهذا التغيير والتكييف اقرب واوفى بمقتضيات ، ولغة هذا العصر . فأي مهزأة بل اي جرم هذا ؟ .

كثير من القصاص والكتاب يقدمون الخنساء على سائر الشعراء . فالمبرد وليلى الاخيلية يقدمانها على كثير من فحول الشعر ، والحصري يصفها باشعر نساء العرب طراً وغيرهما كثير . وليس من شك ان ما يحويه شعرها ، لهو اجل ما تضمنته العربية من اثارة الكوامن النفسية ، وتنبيه الشجون . وان في الاقتباس منه فائدة لا تنكر... نذكر اننا كنا نحادث المرحوم (الاب لويس شيخو) واتفق ان ذكرنا له عرضاً شغفنا بالخنساء اشعارها ، واستطلعنا رأيه ، فاجابنا رحمه الله بما مؤداه: « ان كثيراً من الادباء يبخسونها حقها بدعوى انها امرأة ، أو لجهلهم أشعارها المتينة ، بينما هي حقاً تتفوق على كثير مما لدينا من اشعار المتقدمين والمتأخرين من رجال ونساء ، ولاسيما في معرض الحزن والتفجع ، فهي جديرة وجوباً ان تلحظ عطفاً من جميع المتأدبين ومن شبابهم خاصة » .

مما هو حري بالذكر ان في شعرها الجليل الكثير من التفنن والسهولة ، ما يجعله داني القطوف ، شهي السماع . وان المتأدبين ليجدون ذلك فيه ، مع ما ناله من تمزيق واهانة من الرواة ، معيناً عظيماً في تملكهم ناصية العربية . ونماماً يفضح اسرارها ويقرب غموضها اليهم . ومن محاسنه قولها :

يؤرقني التذكر حين امسي فيردعني مع الاحزان نكسي
على صخر واي فتى كصخر ؟ ليوم كريهة ، وطعان خلس
فلم اسمع به رزءاً لجن ولم اسمع به رزءاً لانس

اشد على صروف الدهر آداً أفضل في الخطوب بغير لبس
واكرم عند ضر الناس جهداً لجـاد أو لجار أو لعرس
وضيف طارق او مستجير يروع قلبـه من كل جرس
فاكرمه وآمنه فامسى خلياً باله من كل بؤس
ألا يا صخر لا انساك حتى افارق مهجتي ويشق رمسي
يذكرني طلوع الشمس صخراً واذكره لكل غروب شمس
فلولا كثرة الباكين حولي على اخوانهم لقتلت نفسي
ولكن لا ازال ارى عجولا ونائحة تنوح ليوم نحس
هما كلتاهما تبكي اخاها عشية رزئه أو غب امس
وما يبكين مثل اخي ولكن اسلي النفس عنه بالتأسي
فقد ودعت يوم فراق صخر ابي حسان لذاتي وانسي
فيالهفي عليه ولهف امي ايصبح في الضريح وفيه يمسي؟

ومما يستحسن من شعرها ايضاً . قولها :

ألا ياصخر ان ابكيت عيني فقد اضحكتني دهراً طويلا
بكيتك في نساء معولات وكنت أحق من ابدى العويلا
دفعت بك الجليل وانت حي فمن ذا يدفع الخطب الجليلا
اذا قبح البكاء على قتيل رأيت بكاءك الحسن الجميلا

فأنت ترى من هذا رقة وبياناً ، وتجد انفاخر شعرها قالته في صخر . وقيل ان سبب ذلك ما اتاه لها من ضروب الاحسان ، يوم كان زوجها متلافاً للاموال. فكان صخر لاينفك من اعانتها ما وجد لذلك من سبيل ، وبكته هذا البكاء الذي لم يرو التاريخ مثيله في شقيق ، وانظر اليها تنتقل من غرض الى غرض ، ومن معنى الى معنى . فبينما تجدها تتأسى عنه اذ تملكها الجزع فتندبه . خـذها في المطلع تذكره :

يؤرقني التذكر حين امسي فيردعني مع الاحزان نكسي

ثم يغريها الحزن فتثور باكية حين تقول :

ألا يا صخر لا انساك حتى افارق مهجتي ويشق رمسي!

يذكرني طلوع الشمس صخراً واذكره لكل غروب شمس

ثم لا تراها إلّا وقد عادت سكينتها تلتمس العزاء من وراء سجف الموازنة بين مصيبتها ومصيبة سواها من النوائح . فتقول :

وما يبكين مثل اخي ، ولكن اسلي النفس عنه بالتأسي

فاذا هي تعود فتذكره تحت التراب موسداً ، لا يأنسه صباح ولا مساء فتضطرب وتثور معولة ، باكية مسائلة :

فيا لهفي عليه! ولهف امي! أيصبح في الضريح وفيه يمسي؟

من الله رحمة وشفقة للملهوف المحزون ! فهو ابداً يذكر مصيبته ووطأة حزنه ، ويضطرب ، لا يقر له قرار ولا يهدأ على حال ! انظر اليها كيف تذكره اذ كان يضحكها ويسليها ويجلو همها ، ثم اعكف وتمثل ما تفيض به الابيات التالية من عبرات ولهفات وحسرات :

ألا يا صخر ان ابكيت عيني فقد اضحكتني دهراً طويلا

بكيتك في نساء معولات وكنت احق من اجرى العويلا(١)

ثم تتمثل حماة الحي ، وذوده عن الحياض . وقد عدمت الآن نصيراً ومناصراً فتجد ان بكاءه وندبه حلال واجب ، ولو كره المقبحون :

رفعت بك الجليل وانت حي فمن ذا يدفع الخطب الجليلا

اذا قبح البكاء على قتيل رأيت بكاءك الحسن الجميلا

هكذا تعبث بها الهموم وتتقاذفها العواطف ، وهي تجتر الاحزان ، ففي كل بيت جميل معنى ، وعظيم مغزى . وفي كل بيت خيال رائع ، وجمال ذائع :

أبت عيني وعاودها قذاها بعوار فما تقضي كراها

على صخر واي فتى كصخر ؟ اذا ما الناب لم ترأم طلاها

حلفت برب صهب معملات الى البيت الحرام منتهاها

لئن جزعت بنو عمرو عليه لقد رزئت بنو عمرو فتاها

فتى الفتيان ما بلغوا مداه ولا يكدي اذا بلغت كداها

١) تقدم هذان البيتان وتكرر غيرهما (م . ج)

له كف يشد بها وكف تجود فما يجف ثرى نداها
فمن للضيف ان هبت شمال مزعزعة تناوحها صباها
والجأ بردها الاشوال حدباً الى الحجرات بادية كلاها
أحاميكم ورافدكم تركتم ؟ لدى غبراء منهدم رجاها ؟
فلم املك غداة نعي صخر سوابق عبرة جلبت صراها
ترى الشم القطارف من سليم يبل ندى مداممها لحاها
على رجل كريم الخيم اضحى ببطن حفيرة صخب صداها
ليبك الخير صخراً من معد ذوو أحلامها وذوو نهاها
ويبك عليك قومك للتيامى وللهيجاء انك ما عناها
ليبكوا حين تشتجر العوالي بكأس الموت ساعة مصطلاها
فقد فقدتك طلقة فاستراحت فليت الخيل فارسها براها
وكنت اذا اردت بها سبيلا فمات ولم يتمها هواها

فانت ترى مما اوردناه . تشعب الاغراض وتناقل الاخبار دون تنافر المعاني وكم وكم في طيات ديوانها وشوارد ابياتها من معنى دقيق وخيال رائع ، وجمال فاتن ، واذن فانت لا شك توافق انها نعم الخليل واصدق رفيق ، واوفى صديق وانت تحكم ان في مصاحبتها غنى في الالفاظ وسمواً في التعبير وتأصلا في الاطلاع ونستطيع ايضاً ان نقول في غير حرج ولا خوف لائم : انها تفوق اشعار معاصريها الجاهليين — اذ ان منبع الشعر عند الخنساء فاضت ثائرته في انصرام الجاهلية قبل انبثاق الاسلام . لذا يعد شعرها جاهلياً — في تربية الافكار وتغذيتها . أفيحسب القارئ العزيز اننا نجد في الجاهلية افضل من هذه ذوقاً ، ومعنى وجلاء :

كنا كانجم ليل وسطها قمر يجلو الدجى فهوى من بيننا القمر
ياصخر ما كنت في قوم اسر بهم إلا وانك بين القوم مشتهر
فاذهب حميداً على ما كان من حدث فقد سلكت سبيلا فيه معتبر !

لعلي اراك بعين بصيرتي ، تلحظني لحظاً شديداً ، وتمر على شفتيك بسمة تهكم . وتقول لي بشدة وحدة : « هلا علمت ان هذه الابيات تروى لصفية الباهلية وان بيتها الاول يروى لمريم بنت طارق ووو ... وألا ترى فيها كذا وكذا من

تعنت وافتئات القصاص ، وان الكثير من امثاله يروى لغيرها وان عدة ابيات قد وردت في ديوانها ، شطرها الاول يستهل بهذه :

« على صخر ، واي فتى كصخر ... »

ترى كل هذا ، ثم تأتي تحدثنا بفضل هذا الشعر ، وهو كله مصنوع ... لا اعارضك في كونه منتحلا ، ولكن على رسلك ياصاح ، فنحن لو وددنا ان نبحث عن شعر صحيح الرواية لضاع تعبنا سدى ، وانفقنا العمر هباء منثوراً ، ولما وفقنا لاستخلاص بيت صحيح واحد من اشعار الجاهليين ومخضرميهم ونحن نعلم ما يعترضنا من العقبات الجسام ، وما يكثر في طريقنا من المهاوي العميقة. ولو اردنا ان لا نتكسب الشعر إلا من معين صحيحه لوجب اذن ان نفقد آدابنا اوفر كنز ، واعز طرفها من المتقدمين ، ولاضطررنا ان نترها أهم اعضائها .

اذن فانت امام امر بارز ، لا مماطلة ولا تلون فيه . هو ان في اجتناء اشعار المتقدمين فائدة عظيمة ، واذن لا لوم ولا حرج علينا اذا ما وصفناها بانها تحفة مفيدة ثمينة لمن يقتنيها .ونخص شعر الخنساء في المقدمة :

فكأن الالفاظ فيه وجوه والمعاني ركبن فيه عيوناً

بركات في ٢ ديسمبر سنة ١٩٢٨ م ميشيل سليم كميد

تحية العلم

Au Drapeau de l' Irâq.

« للصف الخامس »

يا ايها العلم الاعلى نحييكا فدم رفيعاً مطاعاً أمر داعيكا

كن مطمئناً وفوق العز مرتكزاً واعلم بانا بسيف الشعب نحميكا

انا بني العرب لانخشى اذا إضطرمت نار الحروب وبالارواح نفديكا

سوى علوك لانرضى ومأربنا ألا ينال لك الاعداء تحريكا

حماك فرض علينا لا نخل به فنحن بالحرب والاحبار نوفيكا

وخذ علينا عهوداً ان تكون لنا عزاً ومجداً ومأوى فخرنا فيكا

فدم لقوم ذوي سعي تليق بهم رمزاً شريفاً يردوا بأسر راميكا

أحيوك بعد جهاد قد احاط به كل المصائب فاستكبر بمحييكا

مصطفى جواد